الفصل الثالث

البعد المعياري: الكونية

مقدمة :

في الفصل السابق تم الكشف عن الروابط المختلفة بين وسائل الإعلام والمعلومات (أو المعرفة) حول حقوق الإنسان، والسلطة (أو السياسة)، وأظهر التحليل ببساطة أن المعرفة بالأعمال الوحشية التي تتعلق بحقوق الإنسان لا يمكن أن تساعد على التنبؤ بالآثار المترتبة على هذه المعرفة، وفي الواقع، ثبت أنه من الصعب للغاية دعم أو رفض الحجة السببية التي زادت من التغطية الإعلامية والتي من شأنها أن تؤدي بالضرورة إلى اتخاذ أي إجراء لتناول قضايا حقوق الإنسان، والسبب في ذلك هو أن الطريقة التي يتم بها جمع هذه المعلومات وفهمها هي في حد ذاتها تتوقف على القيم الأساسية التي تبلغ عن الطريقة التي نفكر بها حول حقوق الإنسان في المقام الأول، وكما يقول "ايجناتييف" (1997: 11-12): "صور المعاناة الإنسانية لا تقتصر على معناها فقط بل يمكنها أن تمثل مطالبة أخلاقية إذا كان هؤلاء الذين يشاهدون يرون أنفسهم بأنهم مسئولين عن أولئك الذين يرونهم". وهذا هو السبب في أنه من الضروري أن ننظر إلى أبعد من النماذج الميكانيكية حول كيفية تدفق المعلومات في المجتمع والنظر بطريقة أكثر منهجية للبعد المعياري.

المعايير هي الأفكار حول ما هو صواب وما هو خطأ، لذلك فإن فهم الأفكار المعيارية هو أمر بالغ الأهمية عند تحليل الطريقة التي تحاول بها وسائل الإعلام فهم المعلومات والطريقة التي يتم بها تلقي هذه المعلومات من قبل الجمهور ، وما هي الآثار المترتبة على هذا، وهذا يؤدي إلى مجموعة من الأسئلة، متى يتلقى الناس أخبار عن حقوق الإنسان وكيف

يتم تقديم وصياغة فكرة حقوق الإنسان في هذه المناقشات؟ ومن هو المسئول والخاضع للمساءلة عن الانتهاكات التي تتعلق بحقوق الإنسان؟ وما هي الحلول المقترحة، ولماذا؟

وباستخدام مفهوم الكونية الذى يعني ربط الطرق التي تتم بها مناقشة وفهم حقوق الإنسان والمعاناة العالمية بشكل عام، هل نحن في موقف عالمي ضعيف أم قوي؟ هل ينبغي أن نسعى فقط لتأمين مجموعة أساسية من حقوق الإنسان (ضعيفة) أم أن المساواة العالمية (قوية) ينبغي أن تضع هدفاً أكثر تطلبا وأن يكون هو الهدف النهائي؟ كيف يؤثر ذلك على الطريقة التي يتم بها النظر إلى الدور الذي لعبته وسائل الإعلام؟ هل يأتي هذا الدافع من الشعور بالعدالة العالمية أو من الإنسانية أم هو واجب خيري؟ ماذا يعني هذا بالنسبة لنظام الإنفاذ الحالي أو ما الذي ينبغي أن يكون متوافراً؟ وكيف يؤثر ذلك بدوره على دور الأمم المتحدة وغيرها من الوكالات والمنظمات والمؤسسات الوطنية والإقليمية والدولية؟ وسوف يكشف بقية الفصل هذه الأسئلة من خلال دراسة التاريخ والظهور المعاصر للأفكار العالمية.

الكونية :

منذ بداية العصر الحديث كان هناك اتفاق واسع النطاق إلى حد ما على جانب واحد من الكونية – أي أن جميع البشر متساوون من الناحية الأخلاقية ، ولكن هذا لم يكن هو الحال دائما ولا يزال هناك سؤال مهم، وهو : إلى أي مدى ينبغي أن تقتصر متطلبات المساواة والعدالة على المستوى الوطني وعلى أي أساس ينبغي استبعاد الرعايا؟ فمن ناحية، إذا كان الواجب تجاه بعضهم البعض مستمد من الإنسانية المشتركة، فإنه من المنطقي أن الواجبات توجد تجاه الجميع، ومع ذلك، فإننا نعتقد أن لدينا واجبات فقط تجاه أولئك الذين يتشاركون معنا في عضويتنا في جمعية أو جماعة سياسية، فلا يوجد أي واجب للعدالة خارج حدودنا أو بالنسبة لغير المواطنين– (بروك 2013: 4-6).

ولم يكن هناك اهتمام متزايد بالكونية عبر مجموعة من التخصصات وخاصة في دراسات وسائل الإعلام والاتصالات في العقد الماضي أو العقدين الماضيين، ما بين أولريش بيك

وليورغن هابرماسو ديفيد هيلد وأنورا أونيل كان هناك عدد من المنظِّرين السياسيين الذين تستند نقاشاتهم وادعاءاتهم إما كليًّا أو بشكل جزئي على شكل واحد أو آخر من الكونية. وكذلك في مجال دراسات الاتصال ، أصبحت الكونية هي محور المناقشات النظرية حول دور وسائل الإعلام في المجتمع، وكما شرح وعرض نظام القانون الدولي لحقوق الإنسان في عدد لا يحصى من المعاهدات والاتفاقيات (التي نوقشت في الفصل الأول) فيمكن أن ينظر إليه على أنه مشروع عالمي كلاسيكي، وفي الواقع، فإن معظم المفكرين العالميين المعاصرين سيؤيدون حقوق الإنسان العالمية ، حيث أصبحت لغة حقوق الإنسان هي الأداة الرئيسة للانتقادات بالنسبة للناشطين الذين يسعون لإصلاح النظام الدولي القائم (بايتز 2009)، لذا، هل يمكن أن نقول إن حقوق الإنسان هي مرادفة للكونية؟

والكونية : مفهوم قديم ويستخدم حالياً في مجموعة متنوعة من الطرق التي يمكن أن تكون في بعض الأحيان محيرة ومربكة بالنسبة للمبتدئين، والهدف الأساسي من هذا الكتاب هو توضيح الموضوعات والخيوط الرئيسة في المناقشات حول الكونية في دراسات الاتصال والإعلام، ووضع هذه الأفكار في "خريطة" تحليلية منظمة وصالحة للاستخدام والتي يمكن بعد ذلك أن تطبق بطريقة منهجية لتحليل حقوق الإنسان، وهناك طريقة جيدة لبدء هذه المهمة وهي النظر في الجذور التاريخية والفلسفية لهذا المفهوم.

الجذور التاريخية والفلسفية :

تم وصف الكونية مثل االكثير من الأشياء ، و ذلك يرجع جزئيا إلى أنه المفهوم الذي ظهر وعاود الظهور في بعض التقاليد الفكرية الرئيسة في الشريعة الفلسفية الغربية، وهذا ما يجعلها فكرة ثمينة ولكنها معقدة وفي تطور مستمر، ولعله من الطبيعي أن قوة العولمة يجب أن تركِّز على الآثار الأخلاقية والمسائل المتعلقة بالحكم وإرشادنا نحو الكونية كنظرية سياسية عالمية (براون وهيلد 2010: 1). وفي الواقع، بالنسبة للبعض، "الكونية اليوم هي واحدة من أهم الطرق لفهم العالم المعاصر" (ديلانتي 18:2009).

كذلك تكشف الأصول اليونانية لكلمة "العالمية" وهي "كوزموبولايتس" جذورها الكلاسيكية كما صرح "ديوجين سينوب" (412 قبل الميلاد) بمقولته الشهيرة : "أنا مواطن

من العالم" ومنذ ذلك الحين يشار إليه بأنه أول 'مواطن عالمي'، في حين أن هذا التصريح قد يبدو مثيرا للجدل نسبيا أن يقال في سياق القرن الحادي والعشرين ، ولكن في عصر "ديوجين" كان هذا خروجا جذريا عن التفكير السائد، وكان التدريس الكلاسيكي حول المواطنة مهتمًّا بشكل كبير بالعلاقة بين الفرد والمجتمع السياسي الذي ينتمي إليه – أي الدولة أو المدينة والواجبات والمسؤوليات التي قد تترتب على هذا. وهذه النوعية من الواجبات والمسؤوليات لم تكن ممتدة إلى المجتمعات الأخرى خارج حدود الدولة والمدينة، وعندما يفكر الشخص في نفسه باعتباره مواطناً عالميًّا فإنه يتحدى المفاهيم التقليدية للمواطنة بسبب انعكاساتها على التعلق بالعالم كله بدلاً من مجتمع سياسي محدد، ولكن "ديوجين" لم يكن يدعو لدولة عالمية، بل كان تصريحه هو رفض أية مسؤوليات خاصة تجاه مجتمعه السياسي الخاص.

كان المفكرون اليونانيون والرومانيون المعروفون باسم الرواقيون والذين خلقوا رؤية أكثر إيجابية حول الكونية ،كما قاموا بخدمة الآخرين خارج المجتمع السياسي الخاص بكل فرد منهم، وتم تأسيس أفكارهم على مبدأ أن كل شخص هو جزء من البشرية بأسرها، وبالتالي ينبغي أن يعامل كأحد أبناء وطنه، وأساس هذه الإنسانية المشتركة هو القدرة على أن تكون عقلانية وأخلاقية، وبالنسبة لـ "سينيكا و"شيشرون" وغيرهما من الرواقيين فإن الاعتراف بالخصائص العالمية للإنسانية لا يعني التخلي عن الانتماءات الوطنية، بل تعني أنه ينبغي أن ينظر إلى الحياة باعتبارها تضم دوائر متحدة المركز: تبدأ مع الذات وأفراد الأسرة المباشرة وتنتهي بالدائرة الأكبر لجميع البشرية (نوسباوم 2010: 30-31).

ارتبط صعود وسقوط الإمبراطوريات في الفترة الإغريقية–الرومانية مع البيئة التي شهدت ازدهار الأفكار العالمية (ديلانتي 23:2009). كما وجدت المسيحية المبكرة أن هذه الأفكار مفيدة وذات صلة في فصل السلطة السياسية "الدنيوية" المحلية عن تلك التي تنضم إلى البشرية كلها (بالطبع تم شرحها وتفسيرها من قبل الكنيسة)، وقد تبلور ذلك من خلال فكرة أوغسطين لاثنين من الجنسيات – المدينة أو الدولة المعينة التي يعيش بها الفرد

و"المدينة السماوية" التي تضم مواطنين من جميع الدول، وظهرت الكونية أيضا في نظريات القانون الطبيعية التي نشأت في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث كان يُنظر إلى قوانين العدالة الطبيعية على أنها مستمدة من الخلق الإلهي للبشرية.

وبالرغم من وجود روابط واضحة في استخدام المفهوم لأكثر من ألفي سنة على الأقل، فمن المحتمل أن تكون هي الكونية التي حددها "إيمانويل كانت" في عصر التنوير الذي أصبح مرجعا أساسيا لمعظم المناقشات المعاصرة (فاين 2003). وكان "كانت" متأثراً بكثير من أفكار الرواقيين (نوسباوم 2010)، لكنه رفض فلسفتهم (الميتافيزيقيا الخاصة بهم: شعبة من الفلسفة) وقام بوضع صيغة أكثر موضوعية ومنهجية للكونية تقوم على أساس القانون، وقام بالكتابة في فترة الثورة الفرنسية، وكان مستاءً من الفوضى في العلاقات الدولية وما شعر به هو ما أدى إلى حالة من الدموية وتحريض الجميع ضد الجميع (فاين 2003: 613).

ووفقا لـ"براون" (2010: 45-46) هناك ثلاثة عناصر (مترابطة) لكونية "كانت" وهي:

1- الأفراد يمثلون وحدة من القلق المعنوي على حد سواء ويمكن فقط للقدرات البشرية أن تكون متطورة بشكل كامل في حالة من العدالة الدولية.
2- تحقيق العدالة الشاملة يتطلب وجود مجتمع مدني عالمي، وهذا قائم على الإنسانية وليس الجنسية أو الولاء المحلي.
3- الحق العالمي يدور حول "المبادئ المعيارية الأساسية التي اكتتبت ضمن دستور عالمي".

والجدير بالذكر أنه عندما تحدَّث "كانت" عن "الحق العالمي" كان يشير إلى ما يمكن أن نسميه الآن "القانون الدولي" (الدرون 2000: 229).

وقد انتقد "كانت"على عدد من الأصعدة ولكن وجود منظومة كبيرة يحكمها قانون موحد هي فلسفته المفترضة حول التاريخ والتقدم البشري وتجنب التجارة الدولية والحروب ، مما يؤدي إلى خلق علاقات قانونية من شأنها أن تتبع مصفوفة عالمية في نهاية

المطاف (براون 2010: 50-51). وينبغي أيضا ملاحظة أن السرد التقليدي للكونية (المتبع هنا) والذي يتتبع الفكرة من الرواقيين من خلال "كانت" إلى العصر المعاصر (على سبيل المثال ديلانتي 2009 ؛ نوسباوم 2010) يجد أنه قد تم اتهامه من المركزية الأوروبية (دوسيل 2000). ومن شأنه أيضا أن يتغاضى عن رد الفعل العنيف ضد الكونية من خلال انتقاد "ماركس" للرأسمالية في القرن التاسع عشر.

حيث تجادل كل من وجهة النظر الماركسية والمناهج النظرية المهمة اللاحقة في أنه مهما ادعى مفهوم الكونية بأنه سلمي وإنساني فهو في نهاية المطاف أيديولوجية متواطئة بشكل كبير في ديناميكيات السلطة الوطنية والعالمية (بيردورث 2011: 128-129)، أما بالنسبة لماركس، فإن الكونية هي خطاب واعظ خطير والذي يسهل بأريحية الليبرالية الاقتصادية الخاصة بـ "آدم سميث" وغيره، وبالتالي تجاهل الروابط السببية بين الرأسمالية والاستغلال والإمبراطورية. ويقترب المشروع العالمي بأكمله من "ماركس" من الناحية التاريخية حيث إنها أيديولوجية هرمية ، ولكنها تغفل عن المرحلة الأولى المهمة لتحقيق التكافل الاجتماعي (مثلا من خلال الثورة). وبالتالي فإنها توفر دون قصد تغطية لأصحاب السلطة لمواصلة استغلالهم لموارد العالم والعمالة البشرية.

قامت العديد من الأيديولوجيات السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين – وخاصة القومية والشيوعية بمهاجمة الأفكار العالمية واستخدمت التسمية بطريقة مهينة للغاية. أما الوطنيون الأحرار بطبيعة الحال فلديهم منطق واضح لعدم الثقة في الأشخاص المتحررين، لأنهم يُعدون ذلك بأنه عدم ولاء للأمة وهو شيء أكثر خطورة من القوميات المتناحرة (غلنر 1994: 112). وقد اعتمدت القوميات الفاشية في النصف الأول من القرن العشرين هذا المصطلح لغرض أكبر من خلال ربطه بالمعاداة السامية التي تفشت في أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ومن المعروف جيدا أن النازيين نظروا لليهود على أنهم متحررين نمطيين وليس لهم جذور أو أمة محددة ، وبالتالي فهم مشتبه بهم بدرجة كبيرة، وعُدَّت برلين عام 1920م في ألمانيا بأنها مدينة متعددة الثقافات بدرجة كبيرة ومازال يُنظر إليها على أنها مدينة الأجانب (ريتشي 1998) ولكن هذا لم يكن مجرد ظاهرة ألمانية ،حيث

كان هناك صلة استطرادية مع الأيديولوجية الكونية أينما كان هناك معاداة للسامية في جميع أنحاء أوروبا، أما روسيا وفيما بعد الاتحاد السوفيتي مع تاريخهم الطويل في معاداة السامية ، فقد ربطوا الأيديولوجية العالمية مع الجماعات غير المرغوب فيها، وكانت توجد حملات "مكافحة العالمية" في عامي 1940 و1950م، على سبيل المثال، يرتبط العالميون الذين ليس لهم جذور، مع الهوية اليهودية بشكل قاطع. (ازودوفسكيا وإيغوروف 2002).

في حين أنه من السهل استبعاد الفاشية والنازية والستالينية، حيث إنهم أيديولوجيات ملتوية وعنصرية وغير موثوقة بشكل كبير ، وليس من قبيل المصادفة أنهم تمكنوا من الاستفادة من النفور الشعبي نحو مفهوم العالمية في حملات الدعاية الفعالة الخاصة بهم، وكان هذا بسبب أنه بإمكانهم أن يعدوه تهديدا سياسيا وثقافيا، وقد نجحوا في لفت الانتباه حول مشاعر الخوف والحسد من خلال تجسيد الصورة النمطية للشخص العالمي بأنه فرد متميز يمكنه السفر حول العالم وانتقاء واختيار الهوية التي يريدها وسوف يحصل عليها وفقا لرغباته ، ولكنها ستعطي مرة أخرى للدولة التي يجدر به العيش فيها، باختصار، تم تعريف الشخص العالمي بأنه شخص طفيلي على المجتمع. (سكروتن 1982: 100)، وأولئك الذين سعوا لإعادة تأهيل مفهوم العالمية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين قد سعوا لرفض هذه الصور النمطية وإعادة اكتشاف المشاريع الأخلاقية والسياسية والمؤسسية للعديد من المفكرين – وخاصة "كانت". ويحدد الباب القادم بعض المسارات الرئيسة في هذه المناقشات المعاصرة حول العالمية.

المناقشات المعاصرة :

كان السبب وراء الانتشار المذهل للكتب والمقالات التي تدور حول العالمية منذ عام 1990م واضح جدًّا ويمكن تلخيصه في كلمة واحدة وهي العولمة (مثال، براون وهيلد 2010: 3). وبشرح ذلك بمزيد من التفصيل، فإن السياق السياسي في مطلع القرن ، ونهاية الحرب الباردة ربما كان ينبغي أن يضاف كما ينبغي ظهور التطورات التكنولوجية المختلفة التي سهَذلت التوسع في التنقل والاتصالات الدولية ، وأيا كان السبب أو الأسباب، فإنه يبدو أنه من الأصح القول بأن "الكونية لم تكن أبدا شيئًا شائعا أو شعبيًّا" (روبنز 2012: 2).

هذه الشعبية تعني أن هناك مجالات متعددة تميز مفاهيم العالمية وعدداً لا نهاية له تقريبا من الصفات المرتبطة بأنواع مختلفة من الكونية، على سبيل المثال، تنقسم فكرة الكونية عادة إلى فروع عدة: أخلاقية وسياسية وثقافية واقتصادية، في حين رأى كلٌّ من "براون" و"هيلد" (2010: 9-13) أن أفكار الكونية تطبق من خلال خمسة محاور متصلة وهي: العدالة العالمية ، والكونية الثقافية ، والقانونية ، والسياسية ، والمدنية ، أما الأنماط الأخرى فتحدد العشرات من الأنواع المختلفة (للحصول على قائمة طويلة، انظر سكاربس ووودوارد 2013: 4-5).

وعلى الرغم من الصعوبات الواضحة في تلخيص كل هذا، كانت هناك بعض المحاولات لتعميم ما هو مشترك بين جميع أشكال الكونية المعاصرة. وعلى سبيل المثال، يشير "ديلانتي" (28:2006) إلى أن جميع أنواع الكونية هي أخلاقية بطريقة ما لأن المفهوم يبدأ بأخلاقيات الكونية، ويدعي "بوج" (1994: 89-90) أن جميع المواقف العالمية تشترك في ثلاثة عناصر هي : الفردية والشمولية والتعميم، وتعني الفردية أن البشر أو الأشخاص لهم أولوية الاهتمام (خلافاً للقبائل والجماعات العرقية والمجتمعات الثقافية أو الدينية والأمم أو الدول)؛ وتعني العالمية أن نفس الوضع ينطبق على جميع البشر سواسية (وليس فقط مجموعة فرعية، مثل الأرستقراطيين أو البيض أو المسلمين وما إلى ذلك)؛ وتعني العمومية أن هذا الوضع أو هذه الحالة لديها قوة عالمية ، حيث إن الأشخاص هم محط الاهتمام، وذلك بالنسبة للجميع وليس فقط لمواطنيهم أو ما ينتمون لنفس الدين أو ما شابه ذلك.

وهناك طريقة أخرى للتنقل بين الأنواع المختلفة من الكونية وهى التفكير في "أقوى" و"أضعف" المفاهيم (ديلانتي 2006). ويجادل "راولز" حول المهام المحدودة من المساعدة تجاه "الدول ذات الأعباء" على سبيل المثال، إذا كانوا لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم (راولز 1999: 5) فإن هذا يمكن أن يعد شكلاً من أشكال ضعف الكونية ، ويعد "شيفلر" (1997) هو شكل آخر من أشكال ضعف الكونية حيث إنه يقبل بفكرة المساواة تجاه الآخرين ولكن فقط في سياق "الالتزامات الخاصة" لجماعات معينة. وأن أقوى أشكال الكونية يجادل من أجل العدالة التوزيعية والتطبيق العالمي لمبادئ المساواة والديمقراطية (هيلد 1995).

ويقدم "أونيل" مثالاً آخر حول المساواة في الحقوق للجميع من خلال حجته الشهيرة عام (1975) حول الحق في عدم التعرض للقتل (والتي يجب أن تتجاوز كافة الحقوق الأخرى)، واستخدم التشبيه بأن العالم هو عبارة عن قارب نجاة ، ونظرا لوجود توافق عام في الآراء حول بعض المبادئ الرئيسة للكونية (على سبيل المثال فكرة حقوق الإنسان) ويمكن القول : إن "جميعنا أصبحنا عالميون" ولكن، كما تشير الإصدارات القوية/ الضعيفة أن هناك فوارق كبيرة ومواقف متنوعة مع وجود عدد من الانتقادات ، وحتى إذا كان هناك اتفاق واسع النطاق حول الحد الأدنى من المفاهيم، بينما كان هناك نُقَّاد ، وقد تم وصفهم بأنهم "عالميون ضعفاء" وأيضاً تم وصفهم بطرق مختلفة بأنهم "ليسوا عالميين" أو "يؤمنون بفلسفة علاقة الفرد بالمجتمع" وقد سبق ذكر النقد الماركسي، وهناك أيضا بعض "المجتمعيون" (الذين يؤمنون بالعلاقة الوطيدة بين الفرد والمجتمع وأن يكون المجتمع ذات أهمية مركزية) الذين يرون مشاكل مع موقف الكونية، فهم يجادلون من وجهة نظر واقعية حول العلاقات الدولية أن العالميين يغفلون قيمة الواجبات والمسؤوليات الوطنية (على سبيل المثال، ماكنتاير 1995؛ والزير 1983؛ لكلا الجانبين من النقاش، انظر نوسباوم وكوهين 2002). وعلى النقيض، فإن انتقادات حركة ما بعد الحداثة أو البنيوية تدين الحداثة بطبيعتها الكونية وهذا يشمل، على سبيل المثال، الإيمان بالسبب والاعتقاد في التقدم التاريخي والثقة في الشمولية (جميعها ينظر إليها على أنها مشبوهة بشكل كبير). أما بالنسبة للمؤلفين مثل "فوكو" و"أغامبين" فإن الخطاب الليبرالي يتألف من المفاهيم ذات القيمة المحملة مثل "الحرية" فإنها في الواقع تعمل للسيطرة على الفرد وتغيير السلطة التأديبية (بيردسورث 2011: 176-177).

من منظور نقد ما بعد الحداثة فإن أية مطالبة بالـ"كونية" سوف تنطوي بالضرورة على شخص واحد أو مجموعة لتقرر ما هي العالمية ، ومن ثم فرض هذا التعريف على الجميع. ويوضح"هارفي" (2009: 84) ذلك بصراحة مطلقة من خلال زعمه بأن الكونية هي "قناع للممارسات الليبرالية الجديدة المهيمنة والسيطرة الطبقية والإمبريالية العسكرية" ومن هذا المنظور، تصبح حقوق الإنسان مرتبطة بأيديولوجية تستخدم من قبل السياسيين مثل جورج دبليو بوش كجزء من مهمة 'الخير' ضد 'الشر' (دوزيناز 3:2007). ومع ذلك،

فهذا السرد والخوف من صدام الحضارات هو بالتحديد ما أدى إلى أن يقوم بعض الأكاديميين البارزين مثل "بيك" و"هابرماس" و"دريدا" بالدعوة إلى وجود كونية جديدة (كوروساوا 233:2004). وبالنسبة لكثير من هؤلاء الكتاب فإن أهمية الوساطة والاتصالات الذاتية المشتركة في المجتمع المعاصر تعني أن دراسات الاتصال والإعلام أصبحت أكثر أهمية من أي وقت مضي في فهم ديناميات وإمكانيات الأفكار العالمية.

الكونية الوسطية:

يتم النظر إلى الكونية باعتبارها مشروع يتطلب العمل على عدد من الجبهات المختلفة والطرق التي يتم بها "توسط" هذه الأفكار التي أصبحت مهمة ومركزية، وكان تركيز "كانت" حول كيفية إنشاء مؤسسات وقوانين عالمية فعالة ومجدية تقوم على المبادئ العالمية، ولكن هذه المنشآت لن تنجح إلا إذا اعتبروها شرعية أولاً ومن ثم اعتمادها واستخدامها، ولكي يحدث ذلك، جادل الكثيرون في أن هناك حاجة إلى إعادة تعريف الروابط المعيارية وراء الوطنية لإلهام الشعور المتبادل في الانتماء العالمي، وبشكل حاسم فهذا هو الشيء الذي يضمن دورا مهما للاتصالات ووسائل الإعلام (سكاربس ووودوارد 2013: 75) فكيف يمكن للثقافة العالمية أن تتغير وكيف يمكن لوسائل الإعلام أن تلعب دورا في هذا التحول؟

وكان "مارشال ماكلوهان" (1964: 5) واثقاً من التأثير العالمي لتطوير تقنيات "وسائل الإعلام"من خلال جملته الشهيرة بأن "العالم ليس أكثر من قرية" فإنها تجلب جميع الوظائف الاجتماعية والسياسية معا وأدى إلى ازدياد الوعي البشري تجاه المسئولية بدرجة كبيرة، في حين تبدو رؤية "ماكلوهان" متفائلة إلى حد ما ، بينما أنشأ آخرون فكرة أن وسائل الإعلام والاتصالات هي المفتاح لتعزيز الشعور الجماعي العالمي وقد يكون ذلك من خلال نشر المعلومات والقصص من دون ذكر الهوية والشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين (مثل سيلفرستون 2007) وأيضاً بواسطة تطبيع الاختلاف (نافا 2007: 13) وعن طريق إنشاء "المجتمع المدني العالمي" (كالدور 2003)؛ من خلال جعل كل يوم هو يوم عالمي من خلال انتشار الصور والعلامات التجارية وغير التجارية بدءا من "كوكا

كولا إلى منظمة السلام الأخضر" (شيزنسكي ويورى 2002: 464) ومن خلال اتخاذ إجراءات فعالة لمجموعة معينة من الأشخاص مثل الصحفيين الذين هم جزء لا يتجزأ من الكونية ضمن القيم والمعايير المهنية الخاصة بهم (على سبيل المثال داهلغرن 2013)؛ أو عن طريق إنشاء المجال العام العالمي (لول 2007).

وقد حاولت الكثير من الأبحاث أن تُظهر كيف تلعب وسائل الإعلام دورا في تهيئة الظروف الملائمة للثقافة العالمية خاصة مع الجماهير الضخمة التي تتلقي قصصاً إخبارية مثل إطلاق سراح نيلسون مانديلا ووفاة الأميرة ديانا أو سقوط جدار برلين، وعندما يتعلق الأمر بالتأثير العالمي للأخبار التلفزيونية على مدار الأسبوع من حيث بناء ثقافة عالمية، فهناك أشخاص متفائلون مثل (شوسنيسكي ويورى 2006) ومتشائمون مثل (شولياروكي 2008) وبين هذين النقيضين هناك الذين يحاولون إنشاء الطرق المعقدة لصياغة الرسائل المرسلة والمستلمة (على سبيل المثال كوتل وراي 2008؛ روبرتسون 2010).

وقد دفع ظهور أشكال جديدة من تكنولوجيا الاتصالات على شبكة الإنترنت إلى زيادة في الأبحاث التي تدرس الاحتمالات العالمية لهذه الأنواع الجديدة من وسائل الإعلام ، وكان هذا شيئاً متوقعاً حدوثه ، وقد صدر عدد خاص من الدراسات الصحافية التي تم تعديلها بواسطة "ليلي شولياروكي" و"بولاتا بلاجارد" وقد ألقوا الضوء على أمثله على الربيع العربي واحتلال وول ستريت في عام 2011م وزلزال هايتي عام 2010م والانتخابات الإيرانية في عام 2009م باعتبارها قضايا أسهمت فيها وسائل الإعلام الجديدة بتغير "طبيعة الصحافة". وطرح المحررون سؤالاً حول كيفية إعادة تشكيل الإمكانات العالمية للتقارير؟ (شولياروكي" وبلاجارد 2013: 150) أما بقية المساهمين فينظرون إلى هذا السؤال من ناحية إذا كانت وسائل الإعلام الجديدة تخلق "تضامنا جديدا" و"مصداقية جديدة" (على سبيل المثال من خلال الصحافة الوطنية).

هل هناك عجز عالمي؟

لازال هناك تساؤل حول كيفية إنجاز وسائل الإعلام لهذه المهام وكيف تلعب دورا في خلق مواطنين عالميين والشعور بالتضامن العالمي، وعلى الرغم من التوقعات حول ما

نشهده اليوم من وجود عالم مُعَولَم ومترابط على نحو متزايد ، فإن الأخلاقيات العالمية فيما يتعلق بالرعاية والعمل سوف تمتد إلى الآخرين في الأماكن البعيدة وستظل النزعة القومية هي قوة محددة قوية ، ولا تزال الوطنية هي العدسة والإطار التفسيري الذي يجعل معظم الناس تستطيع فهم وتفسير الأحداث العالمية وهذا بدوره يجعل من الصعب الاستمرار في الالتزام بحقوق البشرية ككل (كيريوكادو 2009)، وكما استنتجت "شولياروكي" (2006: 6) بقولها : "على الرغم من الوصول الفوري والعالمي للرؤية بأن [تقنيات وسائل الإعلام] قد حققت المفهوم بأن كوكبنا هو قرية عالمية أو [الجمهور] باعتباره جمهور منفتح "عالميون" وينبغي السيطرة عليه". وفي عمل آخر لـ" شولياروكي" (2013: 2) كشفت عن التغيرات التي حدثت في التضامن مع الآخرين المعرَّضين للخطر ويحدد تحول الغرب إلى"متفرج مثير للسخرية" واعتباره "شخصية بذيئة أو متناقضة تقف متشككة تجاه أي نداء أخلاقي لاتخاذ إجراء تضامني وفعل أي شيء حيال أولئك الذين يعانون" وتقول أيضاً :

> *إن هذا الخطوة تأتي من تمثيل موضوعي للمعاناة كشيء منفصل عنا ، وهذا يدعونا إلى التفكير في وضع الآخرين نحو التمثيل الشخصي للمعاناة كشيء لا يتجزأ من "الحقائق" الخاصة بنا التي تدعو إلى التأمل في وضعنا...التحول من الشعور بالشفقة إلى السخرية. (شولياروكي 2013: 3؛ التوكيد في النص الأصلي)*

وهكذا تتحدث "شولياروكي" عن ظهور العقلانية الجديدة وممارسة التضامن بطريقة مختلفة عن الطرق السابقة بدون الاستناد إلى "الأخلاق الأخرى المتأصلة" ولكنها تركز على "الأخلاق الذاتية" حيث إن فعل الخير تجاه الآخرين يتركَّز حول ما يجعلنا نشعر به.

ومن الواضح أن تأثير عولمة وسائل الإعلام له نتائج محتملة متعددة ، وأحد المقترحات هو أن زيادة فرص الحصول على صور المعاناة من جميع أنحاء العالم يخلق "انعدام الشفقة" (مولر 1999) أو "التجرد من الرحمة" (هوير 2004) بدلا من التعاطف مع الآخرين ، ويزعم البعض أن هذا يمكن أن ينجم عن التعرض المفرط لانتهاكات حقوق الإنسان وعرض أشكال المعاناة عبر وسائل الإعلام ، ويتم تعريف هذا بأنه "الاعتياد على

مشاهدة الأحداث المروعة والبؤس أو المعاناة التي توقفنا عن ملاحظتها...لأننا نشعر بالملل" هذا يمكن أن يؤدي إلى "الاستنتاج أن هذا هو الوضع القائم ولا يمكن فعل شيء من شأنه أن يحدث فرقاً" (تستر 2001: 13).

ويرجع انعدام الشفقة إلى الاستخدام المتكرر لبعض الجمل والصور عبر وسائل الإعلام، وقد لمح "مولر" إلى ذلك عندما ألقى الضوء على آثار اهتمامات وسائل الإعلام وما سوف "يباع" وتؤمن المؤسسات الإعلامية بأن ما تم بيعه من قبل سوف يباع مرة أخرى:

> *[انعدام الشفقة] هو محصلة العمل الصحفي بشكل كلي والبحث الدائم عن المخاطر والأحداث المروعة، بل هو أيضاً نتيجة البحث عن الإثارة والعمل وفق صيغ محددة والإشارة السطحية إلى الرموز الثقافية الأمريكية ، ونتيجة لذلك، فإن الكثير من وسائل الإعلام تبدو متشابهة..نفس الأخبار ونفس الصور. (مولر 1999: 32)*

أولئك الذين يشعرون باليأس خلال تزايد مستويات التفاوت العالمي والكم الهائل من المعاناة الإنسانية ، فمن المرجح أن يؤدي هذا إلى توجيه أصابع الاتهام إلى وسائل الإعلام العالمية وتقاريرها، حيث هذه المناقشات تدور بشكل أقل حول الإمكانيات العالمية الافتراضية لوسائل الإعلام العالمية إنما هي أكثر حول العجز المتصور وهو المسافة بين المثل الأعلى لوسائل الإعلام التي يمكن أو ينبغي أن تساعد على تطوير القيم العالمية المشتركة وبعيدة عن الواقع المثالي لوسائل الإعلام التي تقودها ديناميكيات وشعوبية السوق ومناشدة "القاسم المشترك الأدنى". وهذا له آثار واضحة وأخرى أقل وضوحا، ومثالاً على ذلك هو تجنب وسائل الإعلام للأخبار "الصعبة" أو التي لن "تباع" أو من وجهة نظر أكثر سخرية – لا تتلاءم مع مصالح أصحاب السلطة (كما هو موضح في الفصل السابق).

صياغة الكونية :

مفهوم كلمة صياغة هو الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب الذي تم تقديمه في الفصل الثاني، حيث من الضروري فهم طرق أقل وضوحا وأكثر مكراً في هذه الديناميات التي تطرح نفسها. وهذا يرجع إلى أن الطريقة التي تستخدمها وسائل الإعلام لصياغة المادة

الإعلامية الخاصة بها هو أمر بالغ الأهمية لفهم وتفسير هذه المواد الإعلامية من قبل الجمهور ، وأن صياغة "التعاطف" و "بعد المسافة" يضع حدًّا للتعاطف مع معاناة الآخرين ويمكن أن يكون له آثار تفاضلية، وعلى سبيل المثال، عندما يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية تجاه المناطق أو الدول التي تكون فيها حقوق الإنسان مهددة، ويمكن وضعها ضمن إطار القضايا الإنسانية والتي بدورها تؤكد على مدى التقارب الجغرافي والاجتماعي للحرب. اعتاد الشخص الطبيعي أن يبرز ويشجع التعاطف مع الآخرين. "الحتمية المجردة للمعاناة الشخصية" (بريستون 1996: 112). في هذه الحالة يتم التركيز على معاناة الأفراد الذين يتم تحديدهم كضحايا بحاجة إلى المساعدة 'الخارجية' وفي بعض الأحيان يتم تسليط الضوء على البعد السياسي للصراع (روبنسون 2002: 29). أما الصياغة البديلة - صياغة المسافة – فتخلق مسافة عاطفية بين الجمهور والأشخاص الذين يعانون في الصراع، وهذا يمكن وضعه ضمن إطار الدبلوماسية أو السياسة واستخدام وثائق نزيهة كنمط للإبلاغ وتكوين نخبة مستهدفة من الجمهور والتأكيد على القضايا المعقدة أو الصعبة (بريستون 1996: 112) وهذا أيضاً من شأنه أن ينشئ أو يحافظ على وجود درجة معينة من الانغلاق العاطفي والفكري والعملي تجاه الوضع ، وعزل أنفسنا والإبقاء على أمننا الوجودي (شاو 1996: 8). وهذا النوع من صياغة المسافة غالبا ما يكون واضحا في الإبلاغ عن أفريقيا باعتبارها "القارة السوداء" و"مكان الألم المستشري والمستمر والمعاناة " (تستر 2001: 7) بمعنى أنه يمكن أن يحدث تغيراً طفيفاً هناك، وباستخدام لغة "المجرمين"و"اللصوص" و"المهاجرين غير الشرعيين" وما إلى ذلك، وبغض النظر عن دقة هذه المصطلحات فإنه من المحتمل أن تحرض وسائل الإعلام على أشكال النضال المجدي مثل المظاهرات والاحتجاجات، أما صياغة الأزمات العالمية بطرق تتفق مع المصالح والهويات الوطنية " (كوتل 2009: 509) أيضاً لا تُسهم في خلق المواطنة العالمية، وهناك نوع آخر من الصياغة يتعلق بالمفاهيم العالمية والمجتمعية للعدالة العالمية التي غالبا ما تكون موجودة، ولكنها تكون متواجدة في الإبلاغ عن القضايا التي تنطوي على المعضلات الحقيقية أو الصراعات بين القيم المتنافسة، ومعظم التقارير حول الأحداث الدولية والتحديات السياسية لها آثار على مفاهيم العدالة العالمية، ولكن نادراً ما

يكون هناك وقت أو مساحة (أو نية) لعمل مناقشات طويلة ومستمرة لمثل هذه القضايا في النشرات الإخبارية على مدار الأسبوع. عندما تواجه الدول مطالبات بالانضمام أو الإقامة أو تلقي المساعدة من قبل أولئك الذين أجبروا على مغادرة ديارهم بسبب الكوارث البيئية والصراعات السياسية والأزمات الاقتصادية ، فهي تشارك بشكل غير مقصود في اتخاذ القرارات التي تتعلق بطريقة مباشرة بالحجج القائمة على العدالة العالمية، وتوضح دراسة الحالة الأولى في الفصل السادس أن وسائل الإعلام متورطة بشكل مباشر في هذه الحجج من خلال صياغة النقاشات السياسية باستخدام المصطلحات التي تدل على الموقف العالمي أو المجتمعي بشأن العدالة العالمية.

النتائج :

يمكن تصور نظام القانون الدولي لحقوق الإنسان بأنه محاولة لتحويل الأحكام والقانون والسياسة طبقاً للقيم والمبادئ العالمية، ومن هذا المنطلق فإنه يرتبط ارتباطا وثيقا – ولكن ليس مرادفا – مع الكونية، يمكن رؤية حقوق الإنسان العالمية كجزء من تصور الكونية والتي تتضمن مفهوم المجتمع المدني العالمي والسلام بين الدول والتضامن الاجتماعي. (فاين 2009: 8). وكما هو الحال مع الكونية نفسها، فإن المفهوم المثالي لحقوق الإنسان يلفت انتباهنا إلى القصور الفعلي للنظام الذي تم تنفيذه تدريجيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، كما تسلط الضوء على عدم وجود نظام عالمي مستنير للحكم الذي يمكن أن يقوم بتوفير وتطبيق مبادئ مشتركة – في عصر العولمة (هيلد 2003). هذا هو السبب بالنسبة للكثيرين أن نظام حقوق الإنسان لا يزال "وعد عالمي" إلى حد بعيد – والذي سيوفر تأثيراً حقيقيًّا في الوقت الحاضر ولكنه محدود، بينما يمدنا برؤية مغرية (أو ربما نموذجية) للمستقبل. وتخلق الفجوة بين الصيغ المثالية وغير المثالية (أي الفعلية) لحقوق الإنسان بما يمكن وصفه بأنه "عجز عالمي". وأحد أهداف هذا الكتاب هو تطوير فهم أفضل وأكثر دقة عن حجم وشكل هذا العجز ومجالات وأنواع حقوق الإنسان التي هي أكثر وضوحا. ومع ذلك، فإن التصورات المتعلقة بهذا العجز سوف تكون مشروطة بالرأي بأنه سيكون هناك جهة واحدة فيما يتعلق بحقوق الإنسان، وفي سياق وجهات النظر

العالمية، فإنه يمكن أن يكون هناك انقسام بين الصيغ 'الضعيفة' و'القوية' أما بالنسبة للعالميين البارزين فإنهم يرون نظام حقوق الإنسان كعمل يستمر في التقدم والتطور وله هيكل يجب تحسينه وتغييره ، وأن نطاقه وأساليب تغطيته ليست مكتملة ، وأنه يتضمن العديد من التنازلات والثغرات وأنه ينبغي أن يقف أمام تحديات القوى المعارضة ، لأنه شيء ضروري ولكنه غير كاف حالياً كجزء من مشروع العالمية ، لأنه لم يفعل الكثير لمعالجة مشاكل العدالة التوزيعية العالمية، على سبيل المثال، بالنسبة للعالميين غير البارزين (الضعفاء) أو (المجتمعيون الضعفاء) فإنهم يرون أن النظام الحالي بأكمله هو مرضٍ إلى حد ما، لأنه يوفر المعايير والقيم الدنيا التي يمكن أن تكون بمثابة خارطة الطريق للمجتمعات الوطنية لتطوير النظم الخاصة بها من العدالة، كما يرون أن غياب المنفذ العالمي ووجود سلطة حقيقية باعتبارها ميزة وليست عيباً ، لأن هذا يقلل كثيرا من إمكانية خلق نوعٍ من "الحكومة العالمية" المفترضة.

يتخذ العالميون الأقوياء أكثر المواقف "راديكالية" ونتيجة لذلك فإن لديهم اهتمامات مفاهيمية وعملية حول النظام الدولي لحقوق الإنسان الذي هو أكثر استنباطا ، وقد جادل البعض بأن العالميين الأقوياء يجب أن يكونوا حذرين من التهاون بشأن حقوق الإنسان ، ومن المهم أن لا يصبحوا "مثاليين" كوسيلة لتجنب "الاشتباك الحاسم" مع المشاكل الملحة المعاصرة للعنف المجتمعي وعدم المساواة (فاين 2009). ويعد تزايد الإقبال على حقوق الإنسان هو تفسير وإيجاد حلول لمشاكل المجتمع استنادا إلى فهم سطحي حول النظام الفعلي لحقوق الإنسان ، وأيضاً يهدد بتدهور الصرامة الفكرية والتماسك الذي ينبغي على هذه الحقوق أن تكون عليه في الوقت الراهن (فولسديل 2009: 77).

أما بالنسبة للعالميين الضعفاء فهناك صعوبات مفاهيمية أقل حول معنى وأهمية النظام الدولي لحقوق الإنسان ، ولكن مازال أمامهم صعوبات في تحقيق التوازن، فمن وجهة نظرهم، أن حقوق الإنسان هي شيء مفيد في بعض الأحيان (عندما يكون ذلك ملائما) ولكنها محدودة بصفة عامة ، لأن العدالة ترتبط ارتباطا وثيقاً بقضايا المجتمع. وهذا لا ينفي تماما علم الوجود الذي يشمل حقوق الإنسان بل يقلل من أهميته ويقوم بإدماجه داخل

التسلسل الهرمي الذي يقوم على أهمية المجتمع، وبالتالي فإن الكونية الضعيفة معقدة وتواجه صعوبات وتهدد السير في اتجاه النسبية الثقافية ، في حين أن هذا قد يكون مختلفا بشكل كبير عن الموقف العالمي القوي الذي لا يزال "عصري" و"مؤيد" لحقوق الإنسان حينما تمت مقارنته بنقد ما بعد الحداثة الأكثر تشدداً حول حقوق الإنسان باسم 'شبه الإمبريالية "(على سبيل المثال، فليكشو 2011).

وبالإضافة إلى استمرارية الكونية القوية والضعيفة ، فإن هناك أشخاصاً متفائلون وآخرين متشائمون حول دور وسائل الإعلام في تحقيق مستقبل عالمي، ويعتقد المتفائلون أن وسائل الإعلام العالمية تمتلك قدرة على تغيير الأشياء وتحويلها – مثل ثقة "ماكلوهان" (1964م) في التكنولوجيا وقدرة الكونية البسيطة في التأثير على حياتنا اليومية (أونج 2009) إلى الاعتقاد في القوة التحويلية للعولمة (هيلد 2003). ولا داعي للقول : بأن المتشائمين يعترفون بوجود هذه القدرات ولكنهم يستخلصون استنتاجات مختلفة جدا، فإنهم يرون أن ظهور تكنولوجيات جديدة وزيادة الوصول إلى وسائل الإعلام الاجتماعية والانتشار الواسع لقنوات وسائل الإعلام العالمية ووجود المزيد من الفرص للسلطويين (موروزوف 2011) أو احتكار مصادر الأخبار (سكوت 2005) واستخدام تقنيات الاتصالات الجديدة كل هذا لتدعيم أو تعزيز سلطتهم.

ويقدم الشكل (1.3) اقتراحاً حول العلاقة بين المواقف المعيارية المختلفة (على طول محور س) وفهم دور وسائل الإعلام فيما يتعلق بخلق قيم عالمية مشتركة (على طول محور ذ). وسوف يجد الجميع أنفسهم بشكل طبيعي في مكان ما داخل هذه المساحة، وذلك يعتمد على الأفكار والمواقف التي يتبنونها فيما يتعلق بالكونية ودور وسائل الإعلام، ويمثل خط قطري العلاقة المحتملة بين الاثنين، مما يوحي بأنه من المرجح أن العالميين الأقوياء سوف يرون وسائل الإعلام كقوة تحويلية محتملة، في حين أن العالميين الضعفاء أو (المجتمعيين) سيكون لديهم شكوك وأقل قناعة فيما يتعلق بقدرة وسائل الإعلام على تعزيز وصياغة القيم العالمية المشتركة.

ويهدف بناء هذه العلاقة البسيطة ثنائية الأبعاد بين الفهم المختلف لحقوق الإنسان ووسائل الإعلام إلى أن يكون هناك جهاز إرشادي للكشف عن مجريات الأمور وتوفير

خريطة مفاهيمية يُمكنها الربط بين المواضيع الرئيسة التي سنوضحها في بقية هذا الكتاب ، كما سيتم إعادة النظر فيها في الفصل الختامي ، وينتقل الجزء الثالث من المفاهيم النظرية إلى التجريبية من خلال النظر في مجموعة من قضايا حقوق الإنسان، وكل فصل سوف يحلل جوانب مختلفة من النظام الدولي لحقوق الإنسان، ويسعى كل فصل من خلال فحص دراسات الحالة لتقديم فهم أعمق حول الأدوار العديدة التي تلعبها وسائل الإعلام والأدوار التي فشلت في تأديتها في الكشف عن حجم وشكل التحول في العجز العالمي.

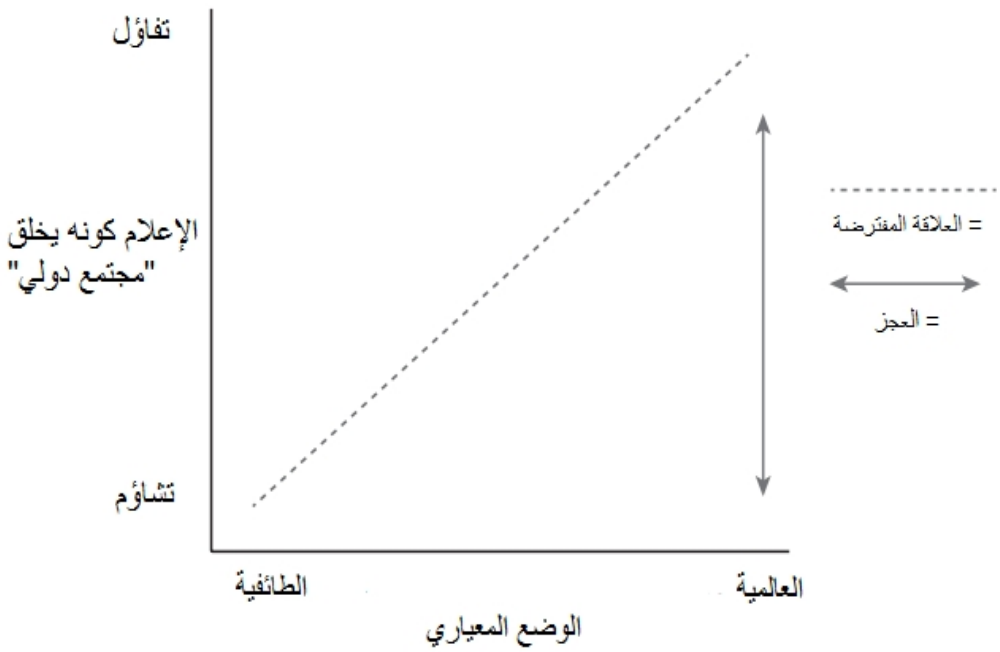

الشكل (1.3): وسائل الإعلام والكونية والمجتمع العالمي.

أسئلة

- ما هي الطرق التي يمكن لوسائل الإعلام استخدامها لخلق مستقبل أكثر عالمية؟
- هل النظام الدولي لحقوق الإنسان هو نفس أو يمثل الكونية؟
- هل تكنولوجيات الاتصالات الجديدة ، تجعلنا أكثر أو أقل وعيا بالقانون الدولي لحقوق الإنسان؟
- ما هو الفرق بين الأشكال الأقوى والأضعف من الكونية؟

القراءات الإضافية

Beardsworth, R. 2011. *Cosmopolitanism and International Relations Theory*. Cambridge: Polity Press.

Beitz, C. 2009. *The Idea of Human Rights*. Oxford: Oxford University Press.

Brock, G. (ed.). 2013. *Cosmopolitanism versus Non-cosmopolitanism:* Critiques, Defenses, Reconceptualizations. Oxford: Oxford University Press.

Brown, G. W. and D. Held (eds). 2010. *The Cosmopolitanism Reader*. Cambridge: Polity Press.

Chouliaraki, L. 2006. *The Spectatorship of Suffering*. London: Sage.

Chouliaraki, L. 2013. *The Ironic Spectator: Solidarity in the Age of Post-humanitarianism*. Cambridge: Polity Press.

Douzinas, C. 2007. *Human Rights and Empire: The Political Philosophy of Cosmopolitanism*. London: Routledge-Cavendish.

Held, D. 2003. *Cosmopolitanism: A Defense*. Cambridge: Polity Press.

Moeller, S. 1999. *Compassion Fatigue: How the Media Sell Disease, Famine, War and Death*. New York: Routledge.

Robertson, A. 2010. *Mediated Cosmopolitanism: The World of Television News*. Cambridge: Polity Press.

Skrbiš, Z. and I. Woodward. 2013. *Cosmopolitanism: Uses of the Idea*. London: Sage.